https://doi.org/10.26682/hjuod.2023.26.2.10
مجلة جامعة دهوك، المجلد: 26، العدد: 2 (العلوم الانسانية والاجتماعية)، ص126-142، 2023

بين تغير الموقف وتقدير الموضع: هل رجع 'كنت' عن أفكاره حول الإيمان؟

نوزاد جمال حمه فرج
معهد كوردستان للدراسات الاستراتيجية والابحاث العلمية، إقليم كوردستان–العراق

(تاريخ استلام البحث: 15 ايار، 2023، تاريخ القبول بالنشر: 14 آب، 2023)

الخلاصة

بعد ان نشر 'كنت' كتابه 'نقد العقل المحض' للمرة الأولى، لم يستقبل من القراء استقبالا حارا كما توقعه. ولكن بعد فترة سكون من النشر دامت عشر سنوات، عاود 'كنت' طبع الكتاب للمرة الثانية وبتغيرات، خاصة إضافة مقدمة أخرى لها وشرح مغزى هذه الطبعة وغايتها. فالذي يقرأ المرء هذه المقدمة، يحس بتغير نبرة 'كنت' والغاية من إعادة الطبع. حيث نوه ببعض الإشارات الضمنية فيها. ففي الطبعة الأولى أخرج المؤلف، مسألة اثبات الإله من مجال العقل النظري البحت وجزم بإستحالة تبريره عقليا. ولكن في الطبعة الجديدة، أشار الى الإعتقاد بكائن علوي–فوقي– في المجال الأخلاقي وإمكانية إثباته بالعقل العملي كضرورة ملحة في الأخلاق. لذا خطر ببال البعض؛ أن تغيرا جذريا طرأ في موقف 'كنت' تجاه الدين وفي إعتقاداته السابقة. لأنه أبدى نوعا من الندم مما قاله في الطبعة الأولى. هل ندم 'كنت' فعلا مما أثبته في الطبعة الأولى؟ أم هناك مبرر عملي لموقع الإعتقاد في المجال العملي؟ يثبت البحث أن موقف 'كنت' من فكرة الإله والدين لم يتغير فعليا، بل أن التغير ناتج عن إستراتجية التعامل مع الواجبات الأخلاقية المطلقة كضرورات لابد من وجود موجه لها. وأن إقراره بضرورة هذا الموجه(فكرة الإله) أتى لغرض عملي وليس إثبات نظري. فالأخلاق "الكنتي" بمثابة الدين وليس العكس.

الكلمات الدالة: الدين، الإيمان، الإله، كنت، الأخلاق

المقدمة

لايخفى أن فلسفة 'كنت' (1724–1804) لاتقبل قراءة واحدة على العموم، خاصة المقدمة[1]التي كتبت في الطبعة الثانية(1877). لذا تحتاج الى تحليل محتواها كخطاب 'كنتي'. فالبحث يسعى الى تحليل أسئلة جوهرية عن موقف 'كنت' من الدين والإله في مستهل المقدمة الثانية لكتابه الشهير 'نقد العقل المحض'. فبعد نشره لم يستقبل من القراء وخاصة الفلاسفة في عصره بشكل إيجابي. ولذلك شعر 'كنت' بخيبة الأمل. على الرغم من أنه بذل جهدا عظيما لامثيل له في الفلسفة الحديثة.

لكن في الطبعة الثانية طرأت بعض تغييرات وبمقدمة جديدة وواضحة النبرة. والسائد عند الباحثين في نصوص 'كنت'، عدم التركيز بشكل خاص في موقفه تجاه الدين وخاصة السؤال الثالث: ما الذي يمكن أن أتمناه؟ كما أن كتابه 'الدين في حدود العقل' لايعتبر تكملة للمشروع النقدي 'الكنتي'. فالرأي السائد هو؛ أن هذا الكتاب لايندرج ضمن الكتب النقدية الثلاثة؛ نقد العقل المحض، نقد العقل العملي، نقد ملكة الحكم.

وكما يلاحظ لاحقا، أن فكرة الندم، راجع الى 'هاينه' وورد هذا التوضيح في كتاب 'تاريخ الفلسفة' ل'ويل دورانت' (Durant 1926(1933), 354). والملفت للنظر، هو عدم إهتمام الباحثين بهذا التصور بشكل خاص. فهناك تغير في نبرة 'كنت' عندما يقارن المقدمة الأولى بالثانية ل'نقد العقل المحض'. وخاصة الجملة الواضحة التي تقول"فسح المجال للإيمان من خلال ترك المعرفة جانبا".

ومن هنا، نحاول تحليل كلا المقدمتين وبالأخص الثانية كخطاب 'كنتي'. وعلى ضوءها قراءة موقف المؤلف من الدين/الإيمان ومعرفة لماذا غير كنت مقدمة كتابه نقد العقل المحض؟ نريد أن نعرف هل هو تغيير الموقف أم تقدير للموضع

الذي يلعبه الإيمان في الأخلاق؟ وذلک يتبين من معرفة هل رجع 'كنت' من آرائه حول إثبات اله وإدراجه من جديد في المعة الثانية لكتابه؟ هل وجود الإله يعتبرإضطرا أخلاقيا أم لاهوتيا؟

يستخدم البحث منهج 'تحليل الخطاب'[2]والتعامل مع المقدمتين كمانفيست–بلاغ– 'كنتي' ولإثبات إذا كان 'كنت' ندم أو رجع عن مواقفه السابقة في الطبعة الأولى؟ ويتضح من خلال المقدمة الجديدة تأكيد 'كنت' على موقفه السابق ولكن بوضوح وتفصيل أكثر.

1 - ثلاثة أشئلة أساسية مهدت لثلاثة كتب نقدية

يمكن القول بأن "الأسئلة الثلاثية" التي تشكل نواة ثلاثة أبعاد نقدية، مهدت أرضية المشروع النقدي في ثلاث كتب. السوؤل الأول؛ ما يمكنني معرفته عن الطبيعة، وماطبيعة هذه المعرفة المحتملة، يكون الأساس النظري لكتاب 'نقد العقل المحض'. لكن الجواب عن 'ما الذي ينغي علي فعله'؟ يشكل البنية الرئيسية لكتاب 'نقد العقل العملي' الذي يتعاطي مع الأخلاق النظري وحرية الإرادة. ففي هذا الكتاب، يؤكد 'كنت' بأن القواعد والقيم الخلقية، ناتجة عن العقل العملي وليست من معطيات ميتافيزيكية مجردة. فهي نتاج الإرادة الحرة للإنسان. فالإنسان غاية في ذاته وليس وسيلة لإرضاء غاية لاهوتية ميتافيزيكية. فمن هنا، حاول 'كنت' إعادة التعريف بدور الإنسان ومكانته في العالم كغاية في ذاته وليس كوسيلة إرضاء كائن 'مافوقي'[3]. وهذا التعريف، يثبت بأن سعادة الأنسان هي الغاية القصوى للقواعد الخلقية. فلايعود القواعد الخلقية للأسس الدينية واللاهوتية، إنما من للعقل العملي الأنساني. بتعبير آخر، فالقواعد الأخلاقية، تنبع عن محض إرادة الأنسان وليس من خارجه (كبلياي 2015، 204-15).

فعندما يؤكد 'كنت' بأن الأنسان غاية في ذاته وليس للطبيعة أو الدين أو كائن مافوقي، فهو يؤكد أيضا على العلاقة المترابطة بين المسؤولية الأخلاقية وحرية الإرادة. في الحقيقة، أن وظيفة المرء من أجل الخير والفضيلة ليست تواصلا للدين أو الطبيعة، إنما من أجل تحقيق قيمة ومقام الذات الأنساني لنفسه. الغاية من الحرية هي أن الأنسان غاية بذاته ولذاتها وليس أداة لخدمة غايات أخرى. من هنا يواصل كنت في كتابه 'نقد ملكة حكم العقل' الجواب على السؤال المطروح: ما الذي يمكن أن أتمناه وماالجمال–الفن؟

فالقاعدة ال'كنت'ية التي تقول؛ الأنسان ماهو إلا غاية في ذاته وليس وسيلة، لكن الآثار المترتبة عليها: فإذا لاتوجد هناک غاية خارجية لتحقيق الواجبات الأخلاقية، ما عسى المرء أن يتمناه من خلال تطبيقها؟ فعندما يدرک الأنسان، أنه كائن يعيش حياة مؤقتة، فماذا يرجو من تنفيذ هذه الواجبات الصارمة؟ وهل يمكن للدين(العقلي الأخلاقي) والفن يعطي الأنسان وميض الأمل؟

فمن هنا، أن السؤال الكنتي: 'ما الذي يمكن أن أتمناه؟' أصعب سؤال ضمن الأسئلة الثلاثة. لأنه يكشف معضلة في ذاته. فعندما يدرک الانسان بأنه كائن محدود ولديه قدر محدود من الوقت ليعيش، لابد من حل. ولأن 'كنت' لم يوضح السؤال بشكل دقيق ومايهدف اليه من خلال طرحه هل كان تبريرا ليؤكد بأن المخرج هو الإيمان بإله أم لا.

فليس من المنطقي أن آمل في أشياء أعرف أنني لا أستطيع تحقيقها في حياتي المؤقتة. ومن المنطقي أيضا أن نأمل في نوع من الخلود بعد الموت الجسدي. ومع ذلك وبقدر صعوبة إقناع البعض بأن الحياة ثمينة لأنها محدودة. فبدلاً من الإنغماس في تخيلات الحياة الأبدية، أحتاج كإنسان إلى مضاعفة جهودي لعيش 'حياة واحدة' كريمة وأخلاقية على أكمل وجه. واجعل الكون البشري، مكانًا أفضل قليلاً قدر الإمكان. إذن، هذا السؤال هو رأس الخيط الذي يحاول 'كنت' كشفه.

2 - تحليل مقدمة الطبعة الأولى والثانية كخطاب 'كنتي'

أن مقدمة 'كنت' في كلا الطبعتان لها أهمية خاصة وقراءتها بدقة وإمعان تدل على معاني وغايات واضحة. ففي المقدمة وضع المؤلف ماهية ومحتوى مشروعه النقدي. علاوة على ذلک، قدم كنت توضيحات عن التغيرات التي أجراها في الطبعة الثانية من اسلوب الكتابة والجواب على الإنتقادات التي وجهت الى الطبعة الأولى. إضافة الى ذلک، أوضح المؤلف وجهة نظر القراء وتحدث عن مصير 'الميتافيزيک' بالدقة. لذا، بدون قراءة جذرية لهذه المقدمة، ربما نغرق في

تفاصيل ومتاهات كتاب 'ن،ع.م' له. بتعبير آخر، ربما نفقد الصورة الكلية الجامعة لكتابه من خلال التوغل في التفاصيلات والتحليلات التي يقدمها المؤلف.

لذلك، دافع 'كنت' في المقدمة الثانية بوضوح عن مشروعه النقدي. وإضافة الى ذلك، هناك قيمة جمالية وأدبية لهذه المقدمات في التعابير الملفتة للنظر، خلافا لمحتويات الكتاب بشكل عام. فهناك يشعر القارىء للوهلة الأولى جمال الأسلوب ال'كنتي' على الرغم من جمل معقدة. وعلى الرغم من طول المقدمة الثانية، حيث يبلغ عدد الصفحات كما هو الحال في كل الترجمات و بالأخص 'وود/غاير' الى (١٨) صفحة. لكن، تبلغ عدد الصفحات في مقدمة ط١ الى (٦) فقط! كما، إنتبه أحد المتخصصين في 'كنت' والمترجم 'نورمان كيمب سميث' الى الفرق الشاسع بين مقدمة ط١و ط٢ . حيث قال 'هناك فرق في إسلوب الكتابة لدى 'كنت' ولخص بقوله: "إنه يتزاحم كثيرًا في كل جملة، لدرجة أنه مجبر على استخدام الأقواس بشكل لا داعي له (Smith 1929)". كما أن الفرق الثالث، من حيث المحتوى الذي نوه 'كنت' بنفسه ذلك الفرق بين المقدمتان بثلاثة نقاط:

أولا، التصليح والترتيب. ثانيا، توضيح سوء التفاهم الحاصل من جراء استخدام مفاهيم ك'الزمن والمكان' في الطبعة الأولى. ثالثا؛ عدم وضوح مفهوم الإستنباط في الطبعة الأولى وإيضاحه أكثر في ط٢. كما وضحت الجواب على السؤال التالي لماذا يستخدم هذا المنهج الإستنباطي في مجال الميتافيزيك خلافا للعلوم التطبيقية ولماذا يناسبه؟ رابعا؛ عرض الأدلة وإثباتاتها بشكل مجرد. شرح وتفسير النواقض الموجودة في الطبعة السابقة (I. Kant 2004, 87).

وهذا يعود جزئيا الى التطور الحاصل في مشروع 'ن.ع،م' وفي تفكير 'كنت'(1772) نفسه كما يؤكد المتخصصين مثل 'ألن وود' و'غاير'. ففي هذه الأعوام، كان هناك نوع من أزمة العمر[4] الذي مر بها كنت حين بلغ (48) عاما وواجه أزمة والتي أدت الى نبوغ فلسفته (P. G. Wood 1998(2009), 23). وهذا ليس بغريب، لأن كتابه العملاق جاء بعد فترة سكون الذي دامت بين (1770-1781) ولم ينشر كنت أية كتابات. لذا، فالكتاب نتاج التكامل والتعمق الفلسفي (P. G. Wood 1998(2009), 23). لأنه حصيلة بلوغ (48) عاما وعشر سنوات من الإنقطآع عن الكتابة التي تعرف السنوات العشرة الساكنة (P. G. Wood 1998(2009), 24). والذي جعل من هذا الكتاب، الأهم بين مؤلفاته، لكونه يعرض أغلبية أطروحاته النقدية (P. G. Wood 1998(2009), 25).

كما، أن هناك حقيقة أخرى دفعت ب'كنت' الى تغيير الإتجاه في المقدمة الجديدة. محاربة اللاأدرية الشكية التي تؤدي الى 'عدمية المعرفة' واللايقين بشكل أكثر وضوحًا. كما، أكد مرة أخرى بأن إمكاننا أن نكون متأكدين من المعرفة القبليه، مقابل ما لايمكننا التأكد منه. وبالتالي، نتعامل مع بديهية 'الإيمان' على أنها صحيحة ويثبت صلابة المعرفة الماقبلية، من خلال تقسيم المعرفة الى النظرية والمعرفة العملية. وضمنيا، يحاول 'كنت' التعامل مع مشكلة الكمال الذي ينتج من أزمة 'العدمية المعرفية' التي تؤدي الى النسبية الذاتية وعدمية الحياة. ففي نهاية المقدمه، يسرد 'كنت' أعدائه: "المادية والقدرية، والإلحاد ، وعدم الإيمان بحرية التفكير والتعصب والخرافات(والتي قد تصبح ضارة عالميًا)، وأخيرًا المثالية والإدراكية أيضًا(والتي هي خطرة إلى حد ما على المدارس ، وبالكاد يمكنها اختراق الجمهور) ." فتكمن مشكلة هذه المدارس الفلسفية، لكونها عدمية بطريقة أو بأخرى. فالعدمية هي العدو هنا. إذن، فنظام 'كنت' الفلسفي، هو محاولة شرح كيفيية التجنب من مشكلة العدمية وهذا هو وظيفة العلم الجديد: الميتافيزيكا المعرفية. وهذا يتم من خلال وحدة الذات والموضوع جنبًا إلى جنب مع بعضهما البعض . لذا، من هنا جاء قوله المشهور "إزالة المعرفة ، من أجل إفساح المجال للاعتقاد".

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب ليس الأولى للمؤلف. لأنه نشر عام (1755) أول نص بإسم (*Nova dilucidatio*). لكن، كتاب 'ن.ع.م'، يحتوى عل أغلبية أطاريحه النقدية ويعتبر تقدما ملحوظا له في الفلسفة. ويمكن إعتباره، مفتاح تطوير الميتافيزيك كمعرفة ماقبلية مركبة وفكك فيه 'كنت' الأدلة الوجودية-الأونتولوجية- لإثبات وجود

'الإله' الذي قدمه كل من 'أنسلم' و'ديكارت' و'لايبنيز' وإتفقوا عليه (P. G. Wood 1998(2009), 26). وهذا المسعى يعتبر تحديا فلسفيا من قبل 'كنت'. لأنه عرض إشكالاتهم النظرية. لأنهم حاولوا إثبات وجود هذا كائن المتعالي–مافوقي– عن طريق إشتقاق مفاهيمي فقط لاغير. أي، برهنوا على وجوده، من خلال وجود مفهوم الإله فقط. لكن خلافا لهم، أثبت 'كنت' بأن مسألة وجود هذا الكائن، يعود الى الإعتقاد به وليس البرهنة النظرية والإستدلال الوجودي. فمسألة برهنة وجود الإله، يعكس في ذاته معضلة طبيعة العقل الإنساني. فهو في جانب يطرح سؤالا عن وجود الخالق في حين لايمكنه الإجابة عليه. لأنه يمكن إثباته من ناحية وفي الوقت نفسه يمكنه سوق أدلة مناقضة.

كما، أعتقد كنت بأن هناك حقيقة أخرى وهي مادام الطبيعة تتبع قواعد وقوانين ضرورية/حتمية، فلا تحتاج أصلا الى تدخل إلهي في تصحيح سير شؤنها (P. G. Wood 1998(2009), 30). فإذا إفترض بأن الإله علة الوجود، فهو ليس جزء من العالم نفسه (P. G. Wood 1998(2009), 27). لأنه، إذا كان جزئا من العالم الطبيعي، فهو بالتالي سوف يخضع الى قوانين الطبيعة ذاتها. كما يؤكد 'كنت' أيضا بأن الحقائق الجوهرية(Substantive truth) الموجودة في العلوم الطبيعية وفي الفلسفة، عبارة عن حقائق مستقلة بذاتها ولايستند الى تجارب خاصة (P. G. Wood 1998(2009), 26). لذا، نجد أن أهمي البحث في الميتافيزك عند 'كنت' تكمن في التحول من أنطولوجيا الى ابستيمولوجيا. أي من أسئلة الوجود والبرهنة على كائن مافوقي، الى نقد العقل. وبهذا نقض كنت المثالية وخاصة في ط٢ (P. G. Wood 1998(2009), 27).

بالإضافة الى ذلك، أن أهمية كنت في الكتاب يظهر في تصوره بأن ملكة الفهم–التعقل– والعقل لاينفصلان. لأنهما يستندان الى ملكة الحكم والتحكم (P. G. Wood 1998(2009), 29). من هنا، أن مقولة كنت المشهورة تصبح المفتاح لهذا الكتاب: 'التفكر بدون المحتوى خال، والإدراك بدون المفاهيم، عمياء' (P. G. Wood 1998(2009), 50). وهذا يتوافق مع أحد أهداف كنت في كتابه كإيجاد الطريق الثالث بين العقلانيي الدوغمائين(ديكارت/ لايبنيز) والتجريبية الشكية ل لوک و هيوم. لكن، الهدف لاينحصر في هذا فقط، بل يتعداه. لأن قراءة كنت من خلال هذا الهدف المذكور، ماهي إلا تبسيط لتأريخ الفلسفة الحديثة حسب رأى 'غاير و وود'. لأنها تبدو ناقصة في كشف الجوانب الضعيفة والقوية لفلاسفة ماقبل 'كنت' (P. G. Wood 1998(2009), 20).

فأصالة كنت تظهر في محاولته لصياغة أسس علمية لمعرفة العالم ولذي يكمن في عقل الإنسان نفسه (P. G. Wood 1998(2009), 21). لذا أن عقل الأنسان هو المشرع للقوانين ويطبقها في تجربته للطبيعة. ولأن طبيعة العقل هو أنه يحاول فهم وإدراک كل حادث في الطبيعة، من خلال تسلسل السبب والنتيجة. وفي فهم الحوادث، يطبق قوانين نابعة عن العقل ذاته على مجريات الأمور في الطبيعة. ومن جانب آخر، هذا يدل على أن المرء من الناحية الأخلاقية حر الإرادة كما يفسر الحوادث في الطبيعة بنفسه. فالقوانين، من معطيات العقل الأنساني الذي يتجسد في اختباره للطبيعة وإدراكه للأشياء فيها.

لذا، فاحدى الأهداف الأخرى، يكمن في السؤال التالي: هل السبيل الى معرفة ماقبلية مطلوب أم اختصار[5] المعرفة في التجربة فقط؟ ويحاول 'كنت' حل هذه المشكلة الفلسفية بطريقتان:

1 - في الطبعة الأولى (1781) حاول تفنيد المذهب الشكي الهيومي والدفاع عن موضوع المعرفة العلمية المحضة. لذلک كان الوظيفة الرئيسية هو مناقشة الصور الماقبلية للمعرفة.

2 - أما في الطبعة الثانية (1787) وبعدما ناقش تصوراته في كتابه 'نقد العقل العملي'، أصبح وظيفته وموضوع إهتمامه 'حدود المعرة البشرية' مقابل التجربة ونواقص العقل النظري. لذا يقول بصراحة في مقدمة هذه الطبعة: 'الهدف من الكتاب، تشخيص مجال العلم بشكل يفتح مجال للإيمان'.

إذن، هناک هدفان للكتاب في ط١: الأول، هو وضع لحدود العقل النظري و تشخيصه. الثاني؛ إثبات صلاحية

الصورة الماقبلية للمعرفة في الذهن/العقل. وأن كلا الغايتان، تنبعان من هدف رئيسي واحد وهو: التوافق بين المذهب العقلي و المذهب التجريبي. ومن خلاله حاول المؤلف إثبات أن 'الحكم' في ذاته، حالة نفسية داخلية للأنسان ويكمن أن يكون إما حكما تحليليا عند شخص ما، ومركبا عند الآخر. فكل واحد منها حسب مستوى الشخص. فيمكن أن يضيف هذا الحكم شيئا-معلومة- لمايعرفه شخص ما والعكس صحيح. ويمكن من خلال التجربة أو توسع مدى المعرفة، أن يتحول حكم مركب الى تحليلي. كما يمكن أن يتحول حكم تحليلي الى مركب بدون تجربة أو توسع في المعرفة. وهذا يعود الى طبيعة العقل البشري في تعاطيه مع التجربة والتعامل مع الطبيعة. والأهم من هذا، ربما يكون إحدى غايات 'كنت' هو الإستنباط[6] التراسندنتالي للمقولات[7]. لأنه لم يكن راضيا بما فيه الكفاية في الطبعة الأولى.

ولابد من التذكير مرة أخرى, بأن 'كنت' خطط في ط٢ حدود المعرفة ووضع تخومها الواضحة. لذا فالمقدمة في ط٢ بمثابة محاججة ودفاع عن الإنتقادات التي وجهت اليه في ط.١ حول الوضوح، المفهومية، الخ. فالنص الذي ورد فيه فكرة 'الندم" كالآتي:

"القيمة الإيجابية للمبادئ النقدية للعقل الخالص فيما يتعلق بمفهوم الإله والطبيعة البسيطة للروح ، تسمح بتجسيد مماثل ؛ لكن في هذه النقطة لن أسهب في الحديث .لا يمكنني حتى أن أفترض – كما تتطلب المصالح العملية للأخلاق – وجود الله والحرية والخلود ، إذا لم أحرم العقل التأملي من ادعاءاته بالبصيرة المتعالية .من أجل الوصول إلى هذه ، يجب أن تستفيد من المبادئ التي ، في الواقع ، تمتد فقط إلى موضوعات التجربة الممكنة ، والتي لا يمكن تطبيقها على أشياء خارج هذا المجال دون تحويلها إلى ظواهر ، وبالتالي تقديم الامتداد العملي للنقاوة .السبب مستحيل .لذلك لا بد لي من إلغاء المعرفة ، لإفساح المجال للاعتقاد .إن دوغماتية الميتافيزيقيا ، أي افتراض إمكانية التقدم في الميتافيزيقيا دون نقد سابق ، هي المصدر الحقيقي لعدم الإيمان (العقائدي دائمًا) الذي يتعارض مع الأخلاق"[8].

فأثبت أن المعرفة البشرية بمعناها الضيق، حصر نفسها في الرياضيات والعلوم الطبيعية. وعندما ننظر من خلال هذه الحقيقة الى ما يسمى بالمعرفة الميتافيزيكية، نصل الى نتيجة واحدة: ان هذه المعرفة ممكنة فقط في صورة 'نظرية النقد النظري' لاغير. لذا، ففي مقدمة الطبعة الأولى، يتحدث 'كنت' بصراحة معضلة العقل البشري: من جانب له القدرة للتساؤل وطرح الأسئلة الشائكة، لكن من الجانب الآخر لايقدر على الجواب. لذا يقول: ' أن قدر العقل هكذا، يثير نوعا من المعرفة من خلال سؤال الذي يصعب عليه ولايقدر التجنب عنه. لأن مصدر هذه الأسئلة هو العقل نفسه. لكن في الوقت نفسه، لايستطيع العقل إيجاد الجواب لها. لذا، فجواب السؤال، يقع خارج –فوق- قدرة العقل نفسه' (I. Kant 2004, 59).

فمن خلال هذا التناقض، يشير الى المفارقة في المذهب الشكي. لأنهم بادروا "بشن حرب" ضد دوغما العقلانية المثالية، لكنهم لم يواصلوا في محاولاتهم بالبحث عن الحل والنجاة من أزمة العقل والمعرفة. فباءت محاولاتهم بالتوقف والإنسداد في نصف الطريق بدلا من حسم الأمر كليا. فمن خلال شكهم في قدرات العقل والمعرفة، تركوا الأمر بدون نتيجة هناك لاغير. لقد وافق 'كنت' على أن الشك في قدرات العقل الأنساني أمر مشروع، لكن الأكتفاء بالنقد دون حسم الأمر، غير مقبول. فلابد من البحث أو محاكمة العقل نفسه كموضوعا رئيسيا للمعرفة البشرية لاغير. فمن خلال الشك من قدرات العقل، انتقد كنت العقل المحض ذاته، بدلا من البحث في أمور ميتافيزيكية غير مفيدة. فبدل الإنكباب والإنشغال المفرط بالمواضيع والمفاهيم الميتافيزيكية كأبدية الروح، حرية الإرادة أو إثبات كائن متعالي، لابد من التركيز على نقد العقل ذاته كموضوعا رئيسيا للمعرفة. لذا الوظيفة الرئيسية التي وضعها 'كنت' على كاهله هي: 'أواصل الأمر على الرغم من هذه الحقيقة الصعبة' (I. Kant 2004, 59-60). لذا، فهدف 'كنت' هو إظهار خلل منهجي للعقل الذي تسبب العقل نفسه في خلقه وهو: إستخدام قدراته الذاتة خارج التجربة.

ولكن، ما يميز 'كنت' عن المذهب الشكي، هو أنه لايهدف الى التسليم بعجز العقل تجاه الجواب على الأسئلة الميتافيزيكية، بل بالعكس، بدل التوجه نحو طريق مسدود وبلانتيجة الذي ساد عند هذآ المذهب، أراد تحديد قدرات العقل النظري من خلال الأسس. كما أراد تجاوز السوؤ التفاهم حول العقل والنجات من تناقض العقل مع نفسه (I. Kant 2004, 59-60). والغاية هنا، رد سوؤ التفاهم الحاصل عن قدرة العقل، لكن ليس من باب رأي دوغمائى الوارد بدون البحث والنقد. ولأن الدوغمائية ليس إلا شعوذة.

فسحر الدوغمائية؛ هو قدرته للجواب عن سؤال ما، لكن بدون أن يكون في حيازته معلومات كافية (I. Kant 2004, 59-60). لذا فان وظيفة الفلسفة: هي ابعاد التشرد والتسرع الناتج عن الدوغما والشك. فالحل هو؛ نقد أخطاء قدرات العقل وإيجاد مخرج له. وعلى عكس المذهب الشكي؛ فليس هناك أية معضلة أو مشكلة ميتافيزيكية لم يتم حلها أو على الأقل لن نستلم مفاتيح حلها (I. Kant 2004, 59-60). فالمستهدف هنا هو العقل، ونقده ما هو إلا تعبير عن الثقة بقدراته للخروج عن المأزق الذي وقع فيه. لكن هذه الثقة بالعقل، لايدل أن كنت يحوز على الأجوبة المطلوبة للأسئلة المتيافيزيكية الترانستندتالية(الرب، الروح والحرية)، فيقول بصراحة: هذا شيء خارج عن مقدرتي-إستطاعتي (I. Kant 2004, 59-60).

والأهم من هذا، أن محاولة برهنة وجود أو عدم الموجودات الثلاث(الرب، الروح والحرية) لايدخل ضمن وظيفة الفلسفة عند'كنت'. بل الغاية الأولى والأخيرة للفلسفة النقدية هي؛ "تحليل العقل المحض وفهم قدرات التفكير لاأكثر ولاأقل" (I. Kant 2004, 84). فالأهتمام بالميتافيزيک عبارة عن؛ الى أي مدى تصل قدرات العقل وهل بمقدوره التفكير خارج نطاق التجربة؟ (I. Kant 2004, 61). وبتعبير آخر، أن وظيفة الفيلسوف ليس إلا الجواب على التحديات التي تواجه العقل بتعمق وإنضباط، وليس التورط أو الإنشغال بالأسئلة الترانسيندتالية بشكل عشوائي (I. Kant 2004, 59-60). فلابد من العقل أن يحدد طبيعة المعرفة وغايتها وطبيعة عملها وليس البحث العشوائي (I. Kant 2004, 60). فالأسئلة الموجودة فـي مجال المعرفة أو الميتافيزيک، تبقى أبديا ودور العقل هو: أن لاشيء يخرج عن السيطرة، مادام أن العقل أتجه بنفسه وتتنفس من خلاله... فالمواضيع الذي يتولد من العقل نفسه، يمكن إيضاحه عن طريق العقل ذاته، لكن بشرط أن يكشف الأنسان الأسس المشتركة للمواضيع العقلية (I. Kant 2004, 63).

ومايخص المقدمة في الطبعة الثانية، ميز 'كنت' بين الفكر والمعرفة، وبين مايفكر فيه الأنسان وموضوع المعرفة في ذاتها (I. Kant 2004, 70). ويمكن عد هذا الفرق إحدى إبداعات كنت في مجال المعرفة. فهناک فرق بين موضوع التفكير وموضوع المعرفة ذاتها. فالمواضيع الذى يفكر فيها الأنسان، يدخل ضمن المواضيع الميتافيزيكية الناتجة من العقل المجرد والمحض. فبإمكان العقل، التفكير في مواضيع مجردة في ذاتها دون أن يكون له المعرفة بها. لأن موضوع المعرفة دائما يتوجه نحو الظواهر المحسوسة. لذا، فالميتافيزيک ماهو الا التفكير وليس معرفة الأشياء أو الظواهر في ذاتها. فلاتوجد ظواهر ميتافيزيكية يمكن معرفتها.

لذا يشترط التفكير الصحيح، عدم تناقض العقل مع ذاته. أي، لايفكر العقل ضد نفسه أو يناقض نفسه. لأن المفاهيم أفكار إحتمالية. أي أن المفاهيم والأفكار ليس احتمالات في نفسها. في حين يشترط في المعرفة، إثبات امكانية الظواهر أو موضوع ما بدليل مثبت. ففي الفلسفة القديمة مثلا، يشترط تطابق المعرفة مع موضوعها-المعرفة (I. Kant 2004, 81). وهناک طريقتان للمعرفة: طريق الإدراک الحسي التجريبي، وطريق العقلي النظري. فالأولى هي التجربة والثانية هي التفكير والفهم(I. Kant 2004, 82) . فالذى يمكن معرفته وموضوعي أيضا، نعرفه نظريا. لذا، لايمكن حصر أو إختصار- (هذه)المعرفة الى(في) التجرة (I. Kant 2004, 83). فمثلا، الحرية كمفهوم ميتافيزيكي، مجرد ولايحتوي في ذاته معرفة التي بمقدور العقل معرفتها. ولكن، يمكننا التفكير فيها كمفهوم خاصة في مجال الأخلاق. وعلى نفس المنوال، أن مفهوم الروح، لايمكن معرفته عن طريق التجربة أو التأمل

(I. Kant 2004, 82). ولذا، لايمكن تصور مفهوم الرب في ذاته ولايمكن معرفته في ذاته إنما مانستطيع فقط هو التفكير فيه. كذلك، الحرية كمفهوم مجرد وقبلي للأوامر الأخلاقية، لانستطيع فهما عن طريق التجرة العملية.

فالتفكير النقدي الذي سماه 'كنت' الفلسفة النقدية، أننا على وعي بأننا نستطيع أن نفكر في أمور ومواضيع لانقدر على معرفتها في ذاتها. وهذا البعد لفلسفة النقد، تظهر الجانب الإيجابي لها: أننا نعرف مالانعرفه. فوظيفة العقل النقدي هي: تحذيرنا بعدم معفرفة الشيي في ذاته. فإذا أدركنا تماما بأن ليس بقدور الأنسان أن يعرف ماهو الرب، الحرية والروح في ذواتها كجوهر أو شيئ في ذاتها، لابد أن يدرك أيضا بأن معرفة هذه المفاهيم كهدف أساسي لنظرية المعرفة خارج منال العقل ولابد من تركه. من هنا؛ إفساح المجال للإعتقاد كي يقوم بشأنه. لأنه يستحيل على العقل معرفة هذه المفاهيم في ذواتها. لذا لابد الذي يتركه الجهل–عدم المعرفة النظرية– لي، يفسح مجال للإعتقاد–الإيمان (I. Kant 2004, 83). بتعبير آخر، أن مسألة وجود الإله، الروح، تقع ضمن مجال الإعتقاد وليس المعرفة. فوجود الإله، ليس موضوع معرفي، إنما بحث لاهوتي يعتمد على الإعتقاد وليس المعرفة. من هنا فرق كنت بين المعرفة والإعتقاد. فموضوع المعرفة ليس موضوع الإعتقاد والعكس صحيح.

فالمفاهيم والمواضيع المجردة الذي لايمكن معرفتها بالتجربة الحسية، إنما يحتاج الى العقل العملي–الأخلاق– لإستخدامها. فالمواضيع والمفاهيم المجردة، ليست ظواهر حسية يمكن إدراكها، لذا يصبحان موضوعا للعقل التأملي ويكمن التفكر فيهما. فطبيعة العقل المجرد هي: تطرح أسئلة عن المواضيع التي تقع خارج الحواس ولكن لايمكنه معرفتها أيضا. فلذلك، ينصح 'كنت' بأن من الأفضل عدم تدوال المسائل والمفاهيم المجردة(الروح والرب والحرية) من خلال العقل النظري المحض، بل يمكن تناولها بطريقة نقدية ويتركها للعقل التطبيقي/العملي في مجال الأخلاق.

إذن، من خلال هذا التقسم والتمييز بين دور ومهام العقل النظري المجرد والعقل العملي التطبيقي، يفصل 'كنت' أيضا بين التمايز بين الأخلاق والدين. ويمكن شرح هذا الموقف 'الكنتي' من المسألة بتعبير 'سقراطي': أن العقل النظري المجرد يدرك الحقيقة التالية، أنني على دراية بأنني لاأعرف أية شيء حولها. لكن الذي أعرفه تماما فقط هو؛ لايمكن معرفة الإله في ذاته. ومن هنا، فان دور الفلسفة النقدية هو؛ صون العقل تجاه المسائل الميتافيزيكية التراسندينتالية من الوقوع في الخطأ (I. Kant 2004, 84). ويدرك 'كنت' تماما بأن، الميتافيزيك نتاج طبيعة العقل البشري ذاته، فمصيره البقاء والعودة الأبدية. لكن عودتها، تعرض العقل الإنسان الى الوقوع في شباك الخطأ. لأنه يخلط المعرفة بالتفكير، وحينما يربك بين ماهو تجريبي وحسي وماهو عقلي مجرد، الهفوة حاضرة.

3 - نبذ الأوهام الميتافيزيكية في العقل النظري

يوضح 'كنت' في مايسميه بالأوهام الميتافيزيكة، أنها نتيجة عملية خاطئة للعقل: وهي تطبيق المفاهيم المجردة النظرية على المواضيع الحسية المحددة التي تصل الى العقل عن طريق ملكة الإدراك والحواس. لكن، المفاهيم المجردة لايتطابق مع المواضيع الحسية المحددة والمدركة بالحواس أبدا. لذلك، يمكن حسم المسألة من خلال وضع الحدود للمفاهيم العقلية المجردة حسب شروط الإدراك الحسي (P. G. Wood 1998(2009), 34) . أي عدم القبول بالشروط التي يجب أعتمادها في الإدراك الحسي ماهو مطلوب في التفكير عن المفاهيم المجردة العقلية وعدم خلطها البعض بالآخر. فالمفاهيم المجردة تبنع من العقل ولذلك ينتمي الى العقل المحض. فالمقولات حسب قواعد الفهم، يشكلون أحكام ضمن الزمان والمكان (P. G. Wood 1998(2009), 48) . إذن، الفهم، بدون المفاهيم، أعمى والتفكير بدون محتوى خالي (P. G. Wood 1998(2009), 50) .

لكن يعترف 'كنت' بحقيقة هي: أن مصير عقل هو أنه مثقل بنوع من المعرفة ونوع من الأسئلة التي لايمكن تفاديه. لأن طرح السؤال من معطيات العقل ذاته وفي الوقت نفسه، لايمكنه الإجابة عنه. لأن الجواب يقع خارج نطاق قدرات العقل ذاته (P. G. Wood 1998(2009), 99) . وإذا إعتبرنا هذا فشلا، فليس فشل العقل نفسه، بل الفشل يعود

الى الأسس الذي يستخدمه في سير التجربة (P. G. Wood 1998(2009), 99).

إذن، الغاية من الفلسفة النقدية هي ليست إلا نقد العقل وملكاته (I. Kant 2004, 101). لذا يقول 'كنت' في إحدى هوامش المقدمة؛ 'عصرنا، عصر النقد لكل شيء يمكن نقده. فالدين بحجة القدسية، وسلطة التشريع بحجة أنها السلطة العليا، يحاولان وضع أنفسهم فوق النقد. لكن، بهذآ لايزيدون إلا الشک على أنفسهم ولايقدرون الدفاع عن الذات بصراحة وحرية في مقابل نقد العقل' (I. Kant 2004, 101).

4 - لماذا نقض 'كنت' المثالية؟

لابد من طرح سؤال جوهري هنا أيضا: لماذا نقض 'كنت' أوهام المثالية، إذا رجع عن أفكاره؟ فالذين يؤكدون عى أنه ندم في الطبعة الثانية عن ما تصوره في الطبعة السابقة، لايسألون أنفسهم لماذا لم يغير موقفه تجاه المثالية ومحاولته لنقضها؟ لذا، فإحدى المحاولات النقدية الجادة التي سلكها 'كنت' هي نقض[9] المثالية بأشكالها. وإعتقد بأن مايقع ضمن الزمان والمكان، يمكن تحديده ويوجد بالفعل[10]. والذي يتواجد بالفعل، فهو حتمي. وبغض النظر عن إذا كان مطلقا أم إفتراض (I. Kant, Crtique of Pure Reason 1998(2009), 322). لذا، إنتقد بالصراحة المثالية ونقض أفكار الفلاسفة ک 'ديكارت، بيركلي، والأنواع الأخرى للمثالية كالمثالية المادية، المثالية الدوغماتيكية، المثالية الهشة[11] (I. Kant, Crtique of Pure Reason 1998(2009), 326).

وفي إعتقاد كنت، أن المثالية–المادية هي النظرية التي تدعي وجود شيء ما(موضوع) خارج فضاء الزمان والمكان. ولكن، هذا الإدعاء محل الشک ولم يثبت بالدليل أو على الأقل خطأه ووجوده غير وارد–محتمل (I. Kant, Crtique of Pure Reason 1998(2009), 326). فمثلا إدعى 'ديكارت' بأن هناک توكيد[12]/ 'كوجيتو واحد' غير قابل للشک وهو "أنني موجود". كما أن دوغما 'بيركلي' يعود الى إعتقاده بأن 'المكان' لايمكن فصله عن الشيء المتصل به وبذلک نفى وجود الشيء في ذاته. لأنه إعتقد بأن الأشياء في المكان/الفضاء[13]، ليس له وجود فعلي, إنما إفتراضي (I. Kant, Crtique of Pure Reason 1998(2009), 326).

لكن المثالية ذات الإشكالية[14]، تختلف عن المثالية الدوغمائية. فهي تدعي فقط بأننا لايمكننا إثبات كائن خارج التجربة المباشرة. لذا، فمن الأفضل للفكر الفلسفي السليم عدم تضليل نفسه بأحكام خاطئة الى حين يحصل على أدلة قاطعة (I. Kant, Crtique of Pure Reason 1998(2009), 326). وهذا المطلب، يتطلب بأن إثبات هذا الكائن الخارجي إستنادا على التجرة وليس التصور. أي إثباته في التجربة الداخلية. فمن هنا لايمكن وضع المفاهيم المجردة(الروح، الإله) في نطاق الزمان والمكان المحدود ومعرفتهما. فدور العقل النقدي لدى 'كنت' هو: نفي المثالية بأنواعها.

ومن هنا، يؤكد 'كنت' على الذات العارف(العقل) الذي ينصب نفسه كحاكم ويحدد أساس أحكامه بوعي ذاتي من نفسه. لذا، أوضح في فصل 'مفاهيم العقل المحض' و'جدلية عمل العقل'، أن العقل المجرد يصوغ ويكون أفكار عن المفاهيم الميتافيزيكية المجردة. لكن العقل لايكتفي بذلک فقط، بل يحاول إثبات حقيقتها وصدقها ضمن الحواس (P. G. Wood 1998(2009), 5). ولكن هذه المحاولة، تشكل مشكلة للعقل المحض نفسه. لأنه يوقعه في أخطاء منهجية عندما يطبق مفاهيم العقل المجرد على الأشكال المحسوسة، فيقوم الموضوع(المفاهيم المجردة) بتحديد عملية المعرفة وتوجيه العقل أيضا. فمن هنا يصبح العقل تابعا بدل أن يكون متبوعا.

5 - هل مفهوم تصوير 'اله' كموضوع للتفكر أم كموجود في ذاته

حسب رأي 'كنت'، أن فكرة الإله، تعني وجود كائن متفرد سامي/متعالي. وهذه الفكرة، موضوع لاهوت وكما أنها مثال علوي للعقل المحض (I. Kant, Crtique of Pure Reason 1998(2009), 558). ولكن لماذا توجد هذه

الفكرة أصلا وأين تنبع ولماذا يفكر العقل حول إحتمال أصل الموجودات وردها الى إحتمال واحد فقط –الوجود المتعالي– كحقية عليا الذى يحتوي على كل الموجودات؟ (I. Kant, Crtique of Pure Reason 1998(2009), 558).

ولاحقا، عندما يتحدث كنت أسس 'العقل التأملي[15]" إذ يحاول إثبات وجود هذا الكائن يتخيلها الأنسان، يقول إذا أمكن وجود هذا الكائن، فلابد أن يكون حتميا (I. Kant, Crtique of Pure Reason 1998(2009), 560). أي لابد أن يكون وجوده حتميا–واجب الوجود– إذا إعتقدنا بأنه العلة الأولى لكل الموجودات الأخرى(العلاقة المنطقية بين العلة والنتيجة). لكن في هذه الحالة، فان 'الحتمية' في ذاتها، هي مأخوذة من المفهوم (لفظ الحتمية) فقط وطبق على الواقع المحسوس أيضا. بتعبير آخر؛ أن دلالة 'الحتمية' ليست نتيجة التجربة الحسية الشاهدة لها، بل مفهوم ومقولة لفظية فقط إشتقت لغويا، لاوجود لها فعليا في الواقع العملي.

لذا، كل المحاولات النظرية لإثبات وجود هذا الكائن السامي، ينحصر في ثلاثة طرق والتي يمكن أخذها بنظر الإعتبار إلا من قبل العقل التأملي فقط (I. Kant, Crtique of Pure Reason 1998(2009), 563). فالإثبات النفسي–اللاهوتي، والدليل الكوني–كوسمولوجي، والدليل الوجودي التي ترمي الى إثبات هذا الكائن المتعالي من إستنتاج نظري فقط من خلال مفهوم الرب وحده. لذا، لايمكن محاولة إثباته مهما حاول المرء، إلا من خلال هذه الأدلة الثلاثة فقط (I. Kant, Crtique of Pure Reason 1998(2009), 563).

لذا، يوجهنا كنت بسؤال مصيري هنا: هل أن مفهوم الإه، ناتج عن تصور متخيل أم هو تصويرحسي له؟ بعبارة أخرى؛ هل موضوع الإله، خاضع للتفكير والتصور فقط، أم يمكن تصوره ككائن في ذاته خارج التصورات والمخيلة؟ وهذا السؤال مهم، لأن وجود الإله في ذاته يختلف عن وجوده في تصورات وإعتقاد البشر. فلايستطيع أي إنسان معرفة هذا الكائن كما هو وكما عليه في ذاته. فكل ما يقال عنه هو تصورات ناتج عن إعتقادات سوقها الإنسان للأقتناع الداخلي به. فليس هناك معرفة محققة ومؤكدة عن هذا الكائن في ذاته، فما يقال عنه ماهو إلا تجليات تصورية التي تطرأ على فكر الأنسان في مخيلاتها.

لذا يؤكد 'كنت'، بأنه ليست هناك مبررات نظرية لوجود هذا الكائن. فليست هناك أسس معرفية، بل ماهو موجود هو تبريرات أخلاقية التي تكون أساس للإعتقاد بوجوده (I. Kant, Crtique of Pure Reason 1998(2009), 689). من هنا يميز كنت بين الإعتقاد النظري والإعتقاد العملي التجريبي. فالإعتقاد واليقين بوجوده، ليس مسألة منطقية في ذاتها، بل تبرير أخلاقي يوجب وجوده. لأن الإعتقاد أو اليقين شيء ذاتي(غير موضوعي). وكما هذا لايعني أيضا، بأن وجوده من الناحية الأخلاقية، لايعتريه أي شك وأمر بديهي بشكل مطلق (I. Kant, Crtique of Pure Reason 1998(2009), 689). فإذا إستسلمنا بوجوده من الناحية الأخلاقية، فوجوده فرضي وليس بديهي. فأنا متقين بوجوده من الناحية الخلقية فقط. فوجوده مبررا أخلاقيا وعمليا وليس كمطلب أخلاقي(للواجبات الخلقية) في ذاته (I. Kant, Crtique of Pure Reason 1998(2009), 689). وهذا مايوضحه 'كنت' في الطبعة الثانية.

فهناك مصلحة وفائدة عملية لهذه الإعتقاد، لأن طموحات الأنسان في مجال الأخلاق لايخلو من المصالح أيضا (I. Kant, Crtique of Pure Reason 1998(2009), 690). وهذه المصلحة لأجل تنفيذ الوظائف والموجبات الأخلاقية. فمن هنا، يوضح 'كنت' أنه لابد من إتاحة مجال للإعتقاد في الأخلاق بإله. لأنه لايمكننا حسم الأمر فقط في هذا التصور الذي يقول بما أنه ليس بمقدور المرء في الفلسفة، التعالي (التفوق) –على التجربة. ولأن الفلسفة لاتمكنها أيضا التطور بمنئى عن توجيهات التي وضعها الطبيعة للتفكير السائد الأخلاقية (I. Kant, Crtique of Pure Reason 1998(2009), 690).

1 - بين الإيمان والعقل: أين تقع الفلسفة الأخلاقية الكانتية؟

ولفهم وظيفة مفهوم الدين في فلسفته، لابد أن نتسائل: هل تؤسس القواعد الأخلاقية عل الدين؟ وهل يحتاج هذه القواعد الى تسويغات وتبريرات الدينية لكي تكون ذو صلاحية أخلاقية؟ أم لابد من الرجوع الى العقل كمصدر وحيد للأوامر الأخلاقية؟ فأيهما يشكل مصدرا للآخر؟ فجواب اللاهوتين والمتدينين واضح: الدين. لكن، عند كنت العكس صحيح. فلايرج الأخلاق الى الأوامر الدينية، لأن الشرط المسبق للأوامر الخلقية هي الحرية–الأستقلال الفردية. إذ لايمكن التوقع من المرء الإلتزام التام بالأوامر الخلقية وتطبيقا بدون قيد وشرط من دون الشعر بالمسؤلية تجاهها. فالمسؤلية الأخلاقية مربوطة بالحرية. والإلتزام وإطاعة الأوامر الأخلاقية ناتج عن حقيقة: أن المرء ملزم بتطبيقها لأنها صادرة من ذاته أي العقل الأنساني وليس مصدرا خارجيا. لأن الأنسان وضح الأوامر والواجبات الأخلاقية على نفسه. فهناک وجوب وحتمية إتباع الأوامر الخلقية لكونها كونية وكلية وموضوعية وعقلانية. فالآمر والناهي هو العقل. ويرسم 'كنت' خطا واضحا بين الأخلاق والدين. لأن الأوامر الأخلاقية، تقع خارج حيز الدين.

لكن إستخدام فكرة الإله في تطبيق الأوامر الخلقية، هي لسبب موضوعي: كون الأوامر والواجبات الخلقية، صورية وشكلية وخالية من أية دافع ذاتي/شخصي، لذا يحتاج المرء اليها كغاية خارج عن الأوامر والواجبات والتمثل لها لكي يحفزه على الإطاعة. ففكرة الإله /الدين في إستخدام 'كنت' تخدم غرضا عمليا أخلاقيا. المقصود بكلمة الدين، ليس 'الدين التأريخي' السائد في الأديان الموجودة.

فالجواب على 'لماذا رجع كنت الى فكرة الإله في الأخلاق؟ لمعرفة السبب؛ هل هو ندم عن أفكاره أم لا؟ فالسبب الموضوعي، هو قاله بنفسه؛ إفساح مجال للإعتقاد. فصلاحية الواجبات الأخلاقية، تنبع من ذاتها وليست من قوة متعالية خارجية. فالشر، سيء لأنها شر في ذاتها وليست لأن الدين/الإله طلب إجتنابه. ولايحتاج المرء الى الأدلة الدينية لكي تثبت مساوٶها. فمهوم الإله، كدافع أخلاقي وليس كمشرع أخلاقي، بل كموجه. ولأن القواعد الأخلاقية شكلية، خالية من المعنى/الجزاء(السعادة الأبدية)، توظف فكرة الإله هنا. وبذلک يحول 'كنت' مفهوم 'الإله' الى دلالة أخلاقية عملية مجسدة. فالإله كفكرة ميتافيزيكية مجردة، تعجز المعرفة للوصول اليها. لكن، توضع في مجال عملي وأخلاقي كموجه للنفس الأنساني عندما ينفذ الواجبات والوظائف الأخلاقية بشكل تام.

إذن، فالإله الكنتي هو 'الإرادة المطلقة' الّتي تشكل أساس الأخلاق ويُجسّد فكرة الواجب التي تتصف بهه "الأخلاق الكنتي". فالدين العقلي الأخلاقي، هو إدراك الواجبات الأخلاقيّة باعتبارها ک'وصايا إلهيّة' مطلقة. ففكرة الإله، تخدم الأخلاق وفكرة الإله المطلق، بطريقة أو أخرى مرادفة لفكرة الواجبات المطلقة. لذا أكد 'كنت' بقوله: ' لدينا واجب فيما يتعلق بما يقع خارج حدود تجربتنا تمامًا ولكن يتم تلبية إمكاناته {فقط} في حيز الأفكار. فعلى سبيل المثال كما أن فكرة اله؛ يُدعى واجب الدين، فعلى نفس الشاكلة وجب الإعتراف بجميع واجباتنا الأخلاقية كأمر إلهي قاطع. لكن هذا الواجب، ليس –وجوبه– تجاه اله، بل هو واجب الإنسان تجاه نفسه. فتطبيق هذه الفكرة التي تقدم نفسها للعقل البشري بشكل حتمي... بهذا المعنى العملي للواجب الأخلاقي، يمكن القول إن امتلاك الدين/الأخلاق هو واجب الإنسان تجاه نفسه لاغيره (I. Kant, Metaphysics of Morals n.d., 193: AA VI, 443-4)'.

فالقواعد الأخلاقية غاية في ذاتها وليست وسيلة من أجل شيء خارجها. وبما أن هناك عقيدة دينية "واحدة" صحيحة على الرغم من وجود العديد من التقاليد الدينية المختلفة، فهناک واجب أخلاقي واحد لاغيره. فالدين في نظر 'كنت'، هو الدين العقلي والأخلاقي في آن واحد. بتعبير آخر، كوظيفة وأوامر خلقية من الأنسان لذاته.

وللعلم، إهتم 'كنت' في آخر محطات حياته، بموضوع العقل والإيمان على السواء. لأن المسائل اللاهوتية المتداولة عن وجود 'الشر' في العالم، وصراع الخير والشر، وإمكانية تفوق

الخير، كل هذه المسائل أثرت عليه. لكن إهتمام 'كنت' بهذه المسائل اللاهوتية ، يختلف كليا عن اللاهوت الانجيلي. على الرغم من أنه إستخدم كثير من المصطلحات والمفردات المتداولة في 'اللاهوت الإنجليي'، إلا ليس بنفس الهدف والغاية. لأنه في الأصل، إهتم بمسألة 'الأمل' كجوهر الإيمان وبدون مذهب أو دين معين. كما أن دور العقل في اللاهوت السائد يقتصر على شرح وتفسير النص المقدس. لكنه إقتنع بأن لغة 'الدين'، اللاهوت لايصلح الى التعبير المناسب عن 'الأمل'. فهو لايرجع الى اللغة الدينية السائدة التي تعد الخلاص للأنسانية من قبل الرب. بل، أن الأمل هو دليل- خارطة- نفسي أخلاقي.

وبالنسبة الى علاقة 'كنت' بالدين، كما صوره 'هاينه' في كتاب 'تأريخ الفلسفة والدين في ألمانيا'(1835) بأنه الهادم الأكبر للفكر الديني وتصوراته أشد فتكا من 'روبسبير'(الذى إشتهر بقتل عائلة الملكة الفرنسية). لذا قال بأن 'كنت' القاتل الأعظم، لقتله "الإله" (Byrne 2007, 2). فمن هنا، يرى البعض بأن كتاب 'ن.ع.م' السيف الذي قطع رأس المذهب الدايزمي[16] في ألمانيا (O'neil 1996). وإستنتج 'هاينه': بأن عرش الأمل، أصبح بدون ملك! فماذا تتبعون بعد هذا؟ فوصف 'هاينه' ل'كنت' يدل على أنه جعل الأنسان أن يحس باليأس ويقبى بدون مواساة في الوجود. لكن، رجع 'كنت' عن هذا وإستند الى الدين في الطبعة الثانية (O'neil 1996).

وحسب تحليل 'هاينه' لموقف 'كنت' وآرائه حول اللإله والدين، أولا؛ لأن الإله ك'نومينا'-شيء في ذاته، لايمكن معرفته (Byrne 2007، 3). كما أن دافع تغير موقفه من وجود الإله، هو إشفاقا على خادمه المخلص 'لامبه' حتى لايقنط في الحياة. لذا، إضطر الى إحيائه من جانب الأخلاق العملي، بعدما قتل الإله من الناحية النظرية (Byrne 2007، 3) . ففي رأي 'هاينه' و'دلوز'، أن 'كنت' قتل الإله قبل نيتشه. ولكن، خوفا من إتهامه بالإلحاد (كسبينوزا)، عاد الى مفهوم الإله في المجال الخلقي وفي كتبه الأخيرة (ن.ع.عم. ١٧٨٨) وكتاب 'ن. ملكة الحكم.١٧٩٠' أيضا. ونفس التفسير لموقف 'كنت' موجود عند 'ويل دورانت' ومقدمة 'كيمب سميت' مترجم 'ن.ع.م' ل'كنت'.

2- لماذا يحتاج المرء الى كائن ترانسدنتالي في المجال الأخلاقي؟

في كلمة البداية للطبعة الثانية لكتاب 'ن.ع.م'(1793)، يجاوب 'كنت' عن السؤال التالي: ماذا يعني الرجوع الى الإله؟ ويبرر جوابه بحجة عملية ويؤكد أولا، بأن 'الأخلاق يبنى على أساس مفهوم الأنسان ككائن مستقل وحر' (I. Kant 2005, 43). يحتاج الأخلاق الى كائن سامي لكي يطيع المرء الأوامر والواجبات الخلقية، لكن الأخلاق كأسس وقواعد 'لايحتاج الى كائن ترانستدتالي لكي يعرف المرء مايجب عليه' (I. Kant 2005, 43). فوجود هذا الكائن ليس بالضرورة وكما لايعرف بالعقل النظري أيضا. فالحاجة الى وجوده في المجال الأخلاق العملي فقط (I. Kant 2005, 43). كما أن الأخلاق في ذاته لايحتاج الى دين، لأنه يستمد قواه من العقل العملي (I. Kant 2005, 43). ويظهر 'الدين' من الحاجة الأخلاقية وليس العكس.

وكما يعتقد 'كازيرر' أن رجوع 'كنت' الى فكرة الإله، هو محاولة للخروج من مأزق عدمية المعرفة والتجربة تجاه (E. Cassirer 1981, 385-7). فالإله ككائن في داخل الأنسان، حاجة تبررها العلة العملية للأخلاق وليس تبريرا إعتقاديا دينيا. لذا حول وجود الإله من الإفتراض النظري الى إفتراض أخلاقي بحت. فالحاجة، ناتجة عن مبرر عملي فقط. كما، أن المواضيع والمفاهيم الميتافيزيكية أشياء ضرورية في عالم التفكير وليس في عالم المعرفة النظرية. ولكونها مفاهيم ميتافيزيكية مجردة، لايمكن تطبيقها على التجربة البشرية. ولايمكن إثباتها أو نقيضها أيضا. فالخيار الوحيد أمام الأنسان هو؛ التفكير فيها. فإذا لم نفعل هذا لانعرف كيف نتعامل مع الحياة ولأن العالم، المكان الذي يرديه الأنسان أن يكون بيتا له ليس غريبا عنه كما وضحه 'كنت' في كتاب 'ميتافيزيک الأخلاق (I. Kant, Metaphysics of Morals n.d., 193: AA VI, 443-4)'.

ويمكن القول أيضا بأن 'كنت' الأول بين نظرائه، حيث وضع 'الأمل' هدفا في الحياة الأخلاقية وذكر الإله كموجه لها. ففي كتاب 'ن.ع.م' ذكر الأمل ضمن الأسئلة الثلاثية. وفي كتابه النقدي الثاني 'ن.ع.عم' إمتحن هذا الأمل على ضوء الأسس الأخلاقية. وأخيرا، أثبت في كتابه النقدي الثالث 'ن.مل. ح'، الأمل مقابل اليأس الناتج عن إنعدام الإيمان (Neiman 2002, 110). اذن، الرجوع الى فكرة الإله، مبرر من قبل العقل العملي فقط. والدين بهذا المعنى، مقبول عندما ينسجم مع أسس الأخلاق ويؤدي الى هذا الهدف. وليشكل الدين أساسا للقواعد والواجبات الأخلاقية وفي تأسيس القواعد الأخلاقية، لايشكل أصلا غير العقل العملي (I. Kant 2005, 44).

3 - علاقة الأخلاق بالدين أم الدين بالأخلاق؟

هناك إلتباس بين علاقة الدين والأخلاق عند القراء لكتب 'كنت'. الكلام عن الدين وفلسفة الدين عنده، تنبع عن ضرورة أخلاقية وليس ضرورة دينية. فالذي أرغم 'كنت' للتحدث عن الدين، هو الأخلاق وليس العكس. وخلال قراءة متأنية، نجد أن 'كنت' يرى أن إبنعاث فكرة الدين وضرورته في التأريخ البشري هو الأخلاق. أي أن الدافع الأخلاقي هو الذي أدى الى ظهور الدين أصلا. فحاجة الأنسان الى روادع وقواعد وواجبات أخلاقية، أدت الى ظهور الدين. فالدين من هذا المنظور، هو أخلاق بمثابة واجبات متعالية–سامية وكاملة.

ونقطة أخرى جديرة بالذكر، هي أن المرء في تنفيذ الواجبات الأخلاقية بحاجة الى غاية لايعرف الى أين يتجه. فما يعرفه فقط هو تنفيذ الواجبات لكن لايدري لأية غرض (I. Kant 2005, 45). لذا، لايقتنع الإنسان كليا بهذه الحقيقة فقط، بل يطمح الى غاية سامية توجه وتحفزه. لذا يقول: 'لاينبع الغاية من الأخلاق، لأن مآل ومصير الأفعال ليس بيد العقل وبأية غرض كان" (I. Kant 2005, 45). ففكرة الضرورة أو الحاجة الى غاية، تنبع من الأخلاق ذاتها وأن وجود غاية سامية لاتؤدي الى زيادة الواجبات الأخلاقية على الأنسان، بل تكون إطارا ومؤشرا للواجبات (I. Kant 2005, 46).

إذن، من خلال الأخلاق، يصل الأنسان الى فكرة المشرع الأخلاقي خارجه كغاية سامية (I. Kant 2005, 46). من هنا، يؤدي بنا الأخلاق الى 'الدين' عندما، نبغي في تنفيذ واجب أخلاقي الوصول الى خير سامي ويكون غاية للواجبات الأخلاقية. ويقترح 'كنت' هنا: 'إفترض أن هناك إله، خير سامي في هذا العالم'. فهذ الإفتراض جملة مركبة وناتج عن التجربة الأخلاقية. لذا لابد من إثبات صدقها من خلال علة عملية فقط (I. Kant 2005, 46).

فإثبات هذآ الكائن السامي، كضرورة وإضطرار أخلاقي. وهذا لايعارض تصوره في 'ن.ع.م' بعدم إمكانية إثباته من خلال العقل النظري وكما بينه أيضا في جزء عن تحت عنوان' معضلات العقل'. فإستحالة إثباته نظريا، لاتعني إمكانية وجوده عمليا. لذا، من هذا المنظور رجع كنت الى مفهوم الإله في الأخلاق. فهناك ضرورات وحاجات للجانب العملي كما أن هناك إشكالات للجانب النظري. فإستحالة الإستدلال النظري على وجود الإله، هو نقض الإدعات السائدة عند اللاهوتين والمثاليين الذين يقولون أن معرفته في ذاته ممكن بالعقل والإستدال النظري. بتعبير آخر، يقول 'كنت'؛ إذا كان المرء مقتنعا بوجود هذا الكائن، فما الحاجة الى دليل لإثباته (I. Kant 2004, 255). فمسألة وجوده هو الإقتناع والإيمان، وليس الإستدلال النظري. كما أن طبيعة الأنسان هي التي تدفعه بربط التجارب الداخلية في نفسه بإفتراض وجود كائن سامي خارجه.

4 - مفهوم الإله والإيمان كتناقض العقل النظري

هل أن مسألة الإيمان ووجود الإله، يدخل ضمن العقل النظري ويمكن إثباته؟ أم أنه لايمكن إثباته بالعقل النظري وكما لايمكن الإستدلال على عدم وجوده. لكن، الحاجة اليه، يدخل ضمن الأخلاق العملي. فوجوده، يبرر أخلاقيا وهذا الكائن، إله أخلاقي وعملي. فلذلك أن وجوده يضاهي مقام 'العقل النظري' في المعرفة. لذا فإن وجوده الأخلاقي، خالي من البعد الديني التشريعي. كما أن ضرورة وجوده، كموجه

وليس صاحب رسالة دينية بالمعنى المتداول. إذن، وضع 'كنت' المعادلة على رأسها؛ الأخلاق يؤذي الى الدين وليس العكس. كما أن مفهوم الإله هنا، يرادف 'الوجبات الأخلاقية المطلقة'.

فالتنقل من الأخلاق الى دين، أمر عقلي وليس العكس. فليس هناک طريق من الدين الى الأخلاق. فالدين لايؤدي الى الأخلاق، بل الأخلاق الى الدين بالمعنى الكنتي للدين. لذا، عندما يثير كنت مسألة ضرورة 'الإله' في مجال الأخلاق، فليس الهدف هو الخلط بين الدين والأخلاق. لأن، "الإله الكنتي"، ليس الإله الديني التأريخي. بل هو قوة موجة وحافز أخلاقي. لذا، يذكر 'كنت' فكرة الإله بطريقتان: أولا كمعضلة عقلية التي يستحيل إثباته في نظرية المعرفة– الميتافيزيک ولايمكن المعرفة البشرية الوصول اليه. ثانيا؛ كمسألة أخلاقية عملية. فإذا لايمكن للعقل النظري إثباته، يكن إفسا مجال له في الجانب العملي والأخلاقي.

ويؤكد 'كنت' أيضا أنه يمكن للمرء أن يعتقد ويقتنع بصورة عقلانية وجود الإله. ولكن بشرط، أن يعتقد انه كائن موجه وليس مشرع للواجبات الأخلاقيةإ (I. Kant, De Religie binnen de grenzen van de rede 2005, 26) . ذن، أن فكرة الإله كموجه، تأخذ طابعا إنسانيا[17] وأن الأنسان يصور هده الفكرة حسب مايريده (I. Kant, De Religie binnen de grenzen van de rede 2005, 242.). لذلک أن 'كنت' ليس له مشكلة مع وجود هذا الكائن كمبدأ أخلاقي موجه للتفكرى البشري (I. Kant, De Religie binnen de grenzen van de rede 2005, 26) . من هنا، حاول 'كنت' عقلنة وجود الإله من خلال الأخلاق العملي. فان وجوده من هذه الناحية، يعتبت وجودا موضوعيا. ولأن هناک دافع أخلاقي وقناعة عملية ورائه.

إذة، فقوله 'لابد من أضع العلم(النظري الدوغمائي في الميتافيزيک) جانبا، لكي أفسح المجال للإيمان(الجانب العملي للأخلاق)' واضح المعالم. وهذآ مايفسره في كتاب 'الدين في حدود العقل'، بأن الحياة مؤقتة، ولايستطيع المرء تحقيق فكرة الخير الأسمى بالأخلاق فيها، فلذا يحتاج الى فكرة الإله كسلطة عليا لكي يحقق هذا الهدف (I. Kant, De Religie binnen de grenzen van de rede 2005, 14) بتعبير آخر، أن فكرة الإله، رمز للخلود في الحياة (I. Kant, De Religie binnen de grenzen van de rede 2005, 14). فالدين أو الإيمان عنصر مكمل للأخلاق وليس بديلا عنه. ولأن الأنسان من خلاله، يتوقع أملا من أفعاله وأن هذا التصور ناتج عن العقل المحض نفسه (I. Kant, De Religie binnen de grenzen van de rede 2005, 15). فدور الدين في تنفيذ الواجبات الأخلاقية هو، التقوية والتفعيل (I. Kant, De Religie binnen de grenzen van de rede 2005, 15).

على الرغم من أن في العصور الوسطى، إعتقد الناس بأن الإيمان أساسا للقواعد والواجبات الأخلاقية. لكن، عند كنت، العكس صحيح. لأن مايوصلنا الى الإيمان/الدين، هو الأخلاق (I. Kant, De Religie binnen de grenzen van de rede 2005, 13) (ئا.س.ژ.پ پ‌ێشه‌كى13). فلايمكننا الوصول الى الأخلاق عبر الدين. لسبب واضح: فما هو صحيح أخلاقيا ليس لأنه الدين/الإله أمر به، بل لأنه واجب أخلاقي فقط. فالذي أدى الى ظهور الدين/الإيمان هو الأخلاق (I. Kant, De Religie binnen de grenzen van de rede 2005, 16). إذن، فإن أولية الأخلاق على الدين عند كنت أمر واضح. فتفسير الدين فلسفيا هو كونه تأريخيا وثقافيا يقع في حدود العقل (I. Kant, De Religie binnen de grenzen van de rede 2005, 16). لكن، المذهب المثالي والتجريبي، فشلا في الجواب على السؤال الثالث: بماذا أتمنى؟ لكن كنت، حاول من خلال العقل والإيمان، المعرفة والعمل فتح أفقا جديدا للواجبات الأخلاقية ولم يهدف الى النقاش اللاهوتي هل هناک كائن إلهي موجود وكيف نتأكد من وجوده. بل، حاول الجواب عن: ماذا يأمل الأنسان من تنفيذ الواجبات الأخلاقية؟

5 - هل ندم 'كنت' حقا عن آرائه السابقة؟

وأخيرا لابد من الفصل في هذا السؤال، وتوضيحه تماما. فالإعتقاد السائد بأنه رجع عن أفكاره السابقة عندما أدخل فكرة 'الإله' الى منظومته الأخلاقية، حكم مسبق. لأن الإيمان والإعتقاد بهذا الإله، من قبيل القيام بالواجبات الأخلاقية والهدف منه هو:

1) لكي نحصل على أساس مستقر في داخلنا ولكي تحفزنا.
2) لكي نعلن عن آمالنا وطموحاتنا في المناسبات الإجتماعية والدينية بوضوح وبصوت عال ونشاركه بعضنا البعض بها.
3) ولكي نبلغ الأجيال القادمة.
4) ولكي يستقر المجمتع ونحافظ على وحدته (I. Kant, De Religie binnen de grenzen van de rede 2005, 272).

إذن، فهناك أهدافا أخلاقية وإجتماعية وراء الإستناد الى مفهوم فكرة الإله. ويمكن القول أيضا؛ أن 'كنت' براجتماتيكى إزاء الدين وفكرة المتعالي. لأنه، ينظر اليه من خلال الوظيفة الإجتماعية والنفسية له. لذا، فالرأي السائد بأنه ندم، حتى على سبيل الإفترض، سوؤ فهم من جوانب عدة:

a) النظر الى فلسفة 'كنت' في فترة قبل ومابعد كتبه النقدية الثلاثة كمرحلتان منقطعة.
b) وإعتبار الطبعة الثانية لكتاب 'ن.ع.م' مختلفا تماما عن الطبعة الأولى وعدم أخذ كتاب 'الدين في حدود العقل' بنظر الإعتبار.
c) الذين يؤكدون رجوع كنت عن مواقفه السابقه، يعتبرون رأيه في الإيمان والإعتقاد بشكل قاطع ومطلق.
d) عدم أخذ تطور فلسفة كنت بنظر الإعتبار خاصة السنوات التي كتب عن مشكلة الدين والتنوير.
e) عدم النظر الى كتب كنت من خلال الصورة العامة والكبيرة، وأن التقسيم الزمني او تصنيف مؤلفاته من باب المنهجية وليس بأن هناك إنقطاع فكري جذري فيها.

صحيح بأن لابد للباحثين أن يفحصوا في الفرق والتغييرات أو بالأحرى التطور في فكر 'كنت' مثل(1769) الذي يعرف بمرحلة قبل كتبه النقدية الثلاثة عن الميتافيزيک وتأثيرات وضع البروتستانتية والإصلاح الديني في وقته. فحسب رأي 'هايدغر'، هناک تحول مايسميه هو ب"المؤشرات المبهمة"[18] في النظام الفلسفي ل'كنت'؛ وهو ناتج عن السؤال حول إمكانية وجود الإله ضمن حدود العقل. فهذه العبارة تمثل الخيط السري في فكره والذي يشتغل عليه في كتابه 'ن.ع.م' ومابعده. ويلاحظ بأن هذه القراءة سائدية في ألمانيا. لكنها غير سائدة في الدول الساكسونية (Rohlf 2019).

وعلاوة على هذا، فإن قراءة 'كنت' من منظور الإيمان/الديني أقدم من 'هايدغر' وتعود الى 'كارل راينهولد'. فهو يعتقد بأن فلسفة 'كنت' حكم بين العقل والإيمان وأن فكرة وجود الإله جاءت كنتيجة له (Reinhold, K & Ameriks, K 2005). كما أنه وجد الحل لمسألة التناقض بين العقل والإيمان وأيهما يسبق الآخر. هل لابد من تهميش الإيمان من قبل العقل أو العكس؟ لقد حسم 'كنت' هذه المسألة واقترح إنسجامهما في 'ن.ع.م' بالبديل التالي: هو الإيمان العقلي (Reinhold, K & Ameriks, K 2005).

ففي الوقت نفسه، أظهر 'كنت' ضعف الأدلة النظرية لوجود الإله ودحض 'بانتايزم'(سبينوزا) وأثبت عدم صلاحيته كليا (Reinhold, K & Ameriks, K 2005). كما يرى 'راينهولد' بأن الدليل الأخلاقي لوجود الإله عند 'كنت'، يمثل بديلا لنظرة 'ياكوبى' و 'ميندلسن'. لذا، على 'فلسفة الدين الحديث' أن يؤكد على الإيمان والعقل من خلال (3) أسس:

- ضرورة وجوده.
- عدم قدرة العقل فهمه بدون وجود المعرفة المطلوبة.
- واجبات العقل العملي (Reinhold, K & Ameriks, K 2005).

إذن، ما يقوله 'كنت' من خلال هذه الجملة الصريحة " إزالة المعرفة، من أجل إفساح المجال للاعتقاد "، هو بسبب محدودية العقل البشري، والذي عندما ينتهي عالم الخبرة.

وبالتالي، لا يمكن أن يؤكد من اتحاد العقل والخبرة، ما يقع وراء العقل البشري والخبرة (عالم العقلانية الذاتية الخالصة) يعتبر هذا صحيحًا من خلال مسلمة الإيمان هذه . إذن، رغم الحقيقة محدودية القدرة المعرفية للبشر، يمكننا أن نكون متأكدين من بعض الأشيا ء. ولا يمكننا أن نكون متأكدين من كل الأشياء مطلقا. لكن، على الرغم منما لا نستطيع التأكد منه، لا تيأس بل نقبله بالإيمان. فالإيمان، هنا المناهض أو المقابل للقلق المعرفي.

النتائج

ان أحد معالم الذي يعرف به فلسفة 'كنت' على العموم، هي الفلسفة الأخلاقية المستندة الى العقل العملي. فالأخلاق لها مقام ومدلول خاص عنده. لذا يختلف كليا عن الذين سبقوه في هذا المجال. ونظرا لأن علاقه الأخلاق بالدين علاقة شائكة، إختلف اللاهوتين والفلاسفة عنها. في حين أن هذه العلاقة في نظر 'كنت' لها غاية ومطلب خاص غير الذى نفهم أو ماهو سائد عند غيره. فربط فكرة الإله بالأخلاق العملي ودورها، كما يسميه نفسه كموجه وليس كمشرع. إذن، فهو يستخدم الفكرة أصلا كأداة للوصول الى غاية أخلاقية في ذاتها وليس خارجها.

وهذا التوضيح يتبين في مقدمة ط الثانية من خلال تغير في اسلوبه وتبرير الدافع لهذه الطبعة.

فهو تقدير للموضع الذي يشكله هذه الفكرة في المجال العملي الأخلاقي وليس تغيير موقفه الأصلي عن الدين و الأخلاق. إذن، فالإعتقاد السائد بأنه رجع عن أفكاره السابقة وأدخل فكرة الإله الى منظومته الأخلاقية من باب الندم، حكم مسبق أو قراءة مستعجلة. لأن الإيمان والإعتقاد بفكرة الإله، من قبيل تفعيل القيام بالواجبات الأخلاقية. يبقى إستحالة إثبات أو نفي هذا الكائن المتعالي في العقل النظري دائما. لكن، هنا يختلف 'كنت' عن ما ذهب اليه المذهب الشكي "الهيومي" بعدم قدرة العقل النظري في المعرفة الا التجربة. بل إعتقد بأن لابد من مخرج آخر. وهذا المخرج هو الأخلاق والعقل العملي. وكما يوضح 'كنت' أيضا بأن الدافع الذاتي للدين، نابع من الأخلاق. فالهدف من ظهور الدين هو الأخلاق. فيبقى الأخلاق هو الأصل والغاية السامية للأنسان. وماالدين إلا وسيلة لتحقيق هذه الغاية النبيلة وليس العكس.

الهوامش

[1] VORREDE

[2] (Discourse) يستخدم للإشارة الى شتى الأنماط الغوية المستخدمة في مختلف المواقف الاجتماعية (فيركليف ٢٠١٥، ١٥). فمنهج تحليل الخطاب يتعامل مع النص كخطاب ويحلله ليس فقط من الناحية اللغوية– الكلمات وتكرارها– بل علاقته مع السياق الزمني الذى كتب فيه. وتحديد عوامل التفاعل المتبادل بين النص والسياق الخارجي. Discourse Analysis is the study of the ways in which language is used in texts and contexts

[3] Transcendental

[4] midlife crisis

[5] Reduction

[6] Deduction

[7] Categories

[8] "Ich mußte also das Wissen aufheben, um zum Glauben Platz zu bekommen, und der Dogmatismus der Metaphysik, d. i. das Vorurteil, in ihr ohne Kritik der reinen Vernunft fortzukommen, ist die wahre Quelle alles der Moralität widerstreitenden Unglaubens, der jederzeit gar sehr dogmatisch ist". P.

لذلك كان عليّ إلغاء المعرفة من أجل إفساح المجال للإيمان. إن التحيز في المضي قدمًا في عقائد الميتافيزيك' دون نقد العقل الخالص، هو المصدر الحقيقي لكل عدم إيمان يتعارض مع الأخلاق وهو دائمًا دوغمائي للغاية.

[9] refutation

[11] Actual

[10] هناک رأي بأن 'كنت' في تقسيمه أو تميزه بين الظاهرة(فينومين) والشيء في ذاته(نومين) وتأكيده بأن الأخير لايمن معرفته ولايصل اليه المعرفة البشرية أبدا، يقع في فخ المثالية مرة أخرى. لكن، العكس صحيح، فعدم قدرة المعرفة للوصول الى الشيء في ذاته، نظرة واقعية تثب مرة أخرى أوهام الثالية التي تدعي معرفته كمعرفة الأنسان للمواضيع المادية بالتجربة الحسية.

[12] assertion

[13] Space

[14] problematic

[15] Speculative Reason

[16] دايزم– deism : إعتقاد الذي يرفض 'الوحي' كمصدرا للإعتقاد بالإله.

[17] anthropomorphism
[18] The Secret Thurn

المصادر والمراجع

Allen W. Wood. .1978 *Kant's Rational Theology.* Cornell University Press.

Cassirer, Ernest. 1981. *Kant's Life and Thought.* Yale University Press .

Cassirer, Ernst. 1970. *Roussaeau, Kant and Gothe(trs. J. Gutmann, P. Oskar & J. Randall).* Princeton Univeristy Press.

Durant, Will. 1926(1933). *The History of Philosophy.* New York: Garden City Publishing.

Kant, I. 2005. *De Religie binnen de grenzen van de rede.* Boom.

—. n.d. *Metaphysics of Morals.* Cambridge University Press.

Kant, Immannuel. 2004. *Kritiek van De Zuivere Rede.* Boom.

Kant, Immanuel. 1998(2009). *Crtique of Pure Reason.* Cambridge University Press.

—. 1997. "fordham.edu." *Halsall/mod/modsbookfull.* Aug 12. http://www.fordham.edu/Halsall/mod/modsbookfull.

Neiman, Susan. 2002. *Evil in Modern Thought, an Alternative History of Philosophy.* Prinction University Press.

O'neil, Onora. 1996. *Kant on Reason and Religion.* Harvard University.

Ashgate . *Kant on God.* .2007 Peter Byrne.

Rauscher, Frederick. 2012. "Kant's Social and Political Philosophy." *Stanford Encyclopedia of Philosophy.* Apr 19, Thu. Rauscher, Frederick, "Kant's Social and Political Philosophy", The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Fall 2022 Edition),

Edwahttps://plato.stanford.edu/archives/fall2022/entries/kant-social-political.

Reinhold, K & Ameriks, K. 2005. *Reinhold : Letters on the Kantian Philosophy.* Cambridge University Press.

Rohlf, Michael. 2019. *Kant, God and Metphysics: The Secret Thorn.* South Bend, Indiana, 01 02.

Smith, Norman Kemp. 1929. " TRANSLATOR'S PREFACE." In *Critique of Pure Reason*, by I. Kant, v-viii. London: Macmillan .

The Unity of Reason, Rereading .1997 Susan Neiman. Oxford University Press. *Kant.*

Wood, Paul Guyer & Allen W. 1998(2009). "Introduction ." In *Critiuqe of Pure Reason*, by I. Kant, 1-80. Cambridge University Press .

Yovel, Yirmiahu. 1980. *Kant and the Philosophy of History.* Princeton University Press.

إمانويل كانط. 2002. تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق. منشورات الجمل.

لوک فيري & كلود كبلياي. 2015. أجمل قصة في تأريخ الفلسفة. دار التنوير.

مُحَمَّد المزوغي. ٢٠٠٧. عمانوئيل كانط: الدين في حدود العقل أو التنوير الناقص. دار الساقي.

نورمان فيركليف. ٢٠١٥. الخطاب والتغير الاجتماعي. المركز القومي للترجمة.

BETWEEN CHANGING THE POSITION AND APPRECIATING THE POSITION: DID KANT REVERT FROM HIS THOUGHTS ON FAITH?

NAWZAD **J**AMAL **H**AMAFARAJ
Kurdistan Institute for Strategic Studies & Scientific Research, Kurdistan Region-Iraq
Dept. of Humanity, Center of Strategic Studies, Kurdistan Region-Iraq

ABSTRACT

After Kant published his Critique of Pure Reason for the first time, it was not received by readers as warmly as one had expected. But after a ten-year period of inactivity in publishing, the book was reprinted for the second time with changes, especially adding another introduction to it and explaining the significance and purpose of this edition. Whoever reads this introduction feels the change in the tone of 'Kant' and the purpose of reprinting. He noted some of the implicit references in it. In the first edition, the author removed the issue of proving God from the field of the purely theoretical mind and asserted that it is impossible to justify it rationally. However, in the new edition, he referred to the belief in a supreme being - above me - in the ethical field and the possibility of proving it with practical reason as an urgent necessity in ethics. So it came to some people's mind; That a radical change occurred in Kant's attitude towards religion and his previous beliefs. Because he expressed some kind of remorse for what he said in the first edition. Did 'Kent' really regret what he proved in the first edition? Or is there a practical justification for the position of belief in the practical field? The research proves that Kent's position on the idea of God and religion has not actually changed, but rather that the change results from the strategy of dealing with absolute moral duties as necessities for which there must be a guide. And his acknowledgment of the necessity of this guide (the idea of God) came for a practical purpose and not a theoretical proof. Kantian morality is like religion, not the other way around.

KEYWORDS: Religion, believe, God, Kant, Ethic.